محمد ناجي القشطيني
حياته وأدبه

عبد الاله الواعظ
قسم اللغة العربية

خلاصة البحث

قصدت بهذا البحث تسليط الاضواء على الشاعر والمعلم والسياسي المرحوم محمد ناجي القشطيني ·

والقشطيني من الرعيل الاول الذى خدم العراق وقدم له كل طاقاته وقدراته من أجل النهوض به اعظم مايكون النهوض ·

ففي هذا البحث تحدثت عن حياة هذا الاديب وتربيته واثر هذه التربية في حياته الادبية والسياسية فيما بعد ·

وقد تناولت فيه نسب الشاعر وموطنه والاصل الذى يعود اليه ، ثم تكلمت على حياته ونشأته منذ طفولته وتزوده بعلوم اللغة والادب ، وعلى المدارس التي درس فيها وتأثر بها ، والتي أثرت فيه ، ثم تكلمت على شعره وطريقة اسلوبه والاتجاه الذى سار فيه ليحقق الغرض الذى يصبوا اليه ، وقيمة هذا الشعر من الناحية الفنية والاجتماعية والسياسية · واخيرا اوردت في نهاية البحث بعض القصائد التي لم تنشر في ديوانه أو في اى مكان آخر ·

تمهيد :

ان اسبابا عدة دعتني الى كتابة هذا البحث عن الكاتب والشاعر محمد ناجي القشطيني ·

لقد كان المغفور له من الرجال الذين استحوذوا على عقول الكثيرين من المعنيين بالادب والسياسة · ولكن الدراسات التي كتبت عنه لم توفه حقه من البحث والاستقصاء ، اذ كانت سريعة الخطرات ناقصة في منهجها

ولم تكشف عن جوانب عديدة في حياة الشاعر وادبه ، ولم تظهر الجوانب النفسية المستترة في تفسير كثير من شعره وتعليله في ضوء هذه الدوافع وما يحيط بالشاعر من اجواء سياسية واجتماعية وفكرية كانت تغشاه وتربطه ربطا محكما الى واقع مجتمعه الذي تفاعل معه تفاعلا كبيرا ومهما • فحملني الى الكتابة عنه لكي اقدم الى القراء رجلا من رجالات العراق كان فضله عليه كبيرا في ميادين الثقافة والادب والسياسة وكان تاريخه من خلال هذا كله صفحة مشرقة تضاف الى صفحات تاريخنا المعاصر المليء بالامجاد • فقد كان رحمه الله من الرواد الذين تغنوا بالحرية وما ملوا التغني بها • ووقفوا بكل قوة وصلابة في وجه الاستعمار البريطاني وصنائعه ومأجوريه، فما وهنوا ولا استكانوا •

ومن مآثره انه كان تربويا فاضلا ، غذى الكثير من ابناء هذا الجيل لبان العلم والفضيلة ، وقد نشأت بعلمه واخلاصه جمهرة كبيرة من الجيل الحاضر تدين له بهذا الفضل الكبير •

ومن حقه علينا جميعا ان نسجل له خدماته ومواقفه المآثورة التي قدمها لبلده العراق هذا الرجل الذي خدم العراق اجل خدمة وان نوفيه حقه من البحث والاستقصاء ، ففي الكتابة عنه خدمة للعلم والادب وتقدير ووفاء للرجل الذي كافح في سبيل أسعاد أبناء وطنه والنهوض به اعظم ما يكون النهوض •

حياته وأدبه :

يذكر رحمه الله في ديوانه الذي سماه باللهفات انه ولد في سنة ١٨٩٩م• وهو من اسرة معروفة بالعراق ، فوالده هو الحاج عبد الوهاب بن عبد الحميد بن احمد القشطيني • واما آل القشطيني فهم من الاسر العراقية المعروفة بأصالة عروبتها ولهم نسب محفوظ في مكتبة المغفور له القشطيني[1] •

وآل القشطيني من احفاد الامير مهنا بن الامير عيسى بن مهنا بن مانع ابن حديفة بن عقبة بن الفضل بن ربيعة من امراء آل عيسى أشهر القبائل العربيةفي بلاد الشا م وقد استوطنوا مدينة قشطين بعد ان تلاشت امارتهم من حلب على يد الملك المظفر سنة ٧٢٠هـ ، وقداشتغلوا بالتجارة بعد ذلك وجاءوا الى بغداد فنزلوا في محلة التكارتة في الكرخ (في الجانب الغربي من بغداد) وذلك بعد فتح السلطان مراد الرابع ، واستمروا على التجارة في العراق والشام ونجد وظهر من بين هذه العائلة عدة رجال اشتهروا بالعلم والفضل وكان الشاعر من ابرز رجال هذه العائلة [٢] .

اما لقب القشطيني فالآراء فيه مختلفة على ان اصح هذه الآراء يرجع نسب هذه العائلة الى مدينة قشطين . وقشطين مدينة قديمة في حلب واقعة على جهة الفرات الشرقية بالقرب من مسلنة[٣]. وهي قرية من أعمال حلب وقد ايد ذلك ابراهيم الدروبي[٤] .

اما اجداده فكانوا من الافاضل الكرام عرفت بغداد منهم رجالا افذاذا كانوا عيون البغداديين ومن وجهاء الكرخيين[٥] .

وقد حدثني والدي ان اجداد القشطيني هم الذين بنوا جامع الشيخ موسى في محلة الكرخ وكان يسمى جامع آل القشطيني ، ولكن عندما دفن فيه الشيخ موسى الجبوري وهو من رجال الدين الافاضل شاع هذا الاسم بين الناس واشتهر الجامع بذلك وطغى على اسم صاحبه الذي بناه .

اما صاحب الدليل العراقي فيذكر ان شاعرنا قد ولد سنة ١٣١٤هـ ولا نعرف بالضبط كم تعادل بالتاريخ الميلادي ، وكان مولده في مدينة كربلاء ولكنه لم يذكر ذلك في مقدمة ديوانه حينما اورد نبذة مختصرة عن حياته ، وانما سجل ذلك في أبيات له قائلا :[٦]

ايها الكاتب الذى زار بيتي يوم تسجيل الناس للاحصاء

انني قد ولدت في خير ارض هي ارض (الشهيد في كربلاء)
ولهذا كانت حياتي كربا وبلاء في صبحها والمساء

وقد تقلب القشطيني في وظائف كثيرة ، على أن أميز تلك الوظائف هو اشتغاله بالتدريس والتعليم وكان اول تعيين له في ١ /٤/١٩١٨ وقد اشتغل بالتدريس في مدرسة رأس القرية الابتدائية ، ثم انتقل بعد ذلك بشهرين مديرا لمدرسة البارودية الابتدائية[٧] . ثم انتقل بعد ذلك مدرسا في الثانوية المركزية في ٢١/١٢/١٩٢٤ وبقى فيها ما يقرب الخمس سنوات ثم انتقل بناء على رغبته الى متوسطة الكرخ بتاريخ ١/١٠/١٩٢٩ ثم انتقل مديرا للشرقية المتوسطة وكان مكان وجودها آنذاك في الباب الشرقي .

وقد تقلد بعد ذلك وظائف مختلفة غير التدريس ، ففي سنة ١٩٣٨ انتقل الى وزارة الداخلية وأشغل وظيفة (مميز) مطبوعات وكان وزير الداخلية السيد مصطفى العمري[٨] . ونظرا لكفائته رقي الى وظيفة وكيل مدير دعاية ونشر في نفس الوزارة ، ولكنه لم يستمر في اشغال هذه الوظائف اذ سرعان ما عاوده الحنين الى التدريس فرجع الى وزارة المعارف في عام ١٩٣٩ واشتغل بالتدريس والتعليم مرة اخرى ، فصار مديرا للثانوية المسائية ، ثم عاد مرة اخرى الى الكرخ المتوسطة وبقي فيها حتى سنة ١٩٤١، ثم اعيد الى وظيفته في وزارة الداخلية مرة أخرى مميزا للمطبوعات العربية ، ثم تولى منصب مدير الدعاية والنشر في نفس الوزارة واستمر في وزارة الداخلية حتى سنة ١٩٤٦ ، ثم عاد الى وزارة المعارف مرة اخرى، وكانت الاسباب التي ادت به الى التنقل بين التدريس والوظائف الادارية المختلفة التي شغلها تعود في جملتها الى اختلافه في الرأى حول الصحافة والنشر ، وكان هو من اشد الداعين الى حرية الصحافة والنشر ، وضرورة رفع القيود والاغلال عنها مما سبب له مناوئين ومخالفين اخذوا يكيدون له ويوقعون به ، وكان الوزراء غالبا من اشد المعارضين لحرية الصحافة ،

فكانت وجهات النظر مختلفة بين شاعرنا ووزراء ذلك العهد .

ولهذه الاسباب أثر ان ينتقل الى وظيفة مفتشس اختصاصي في سنة ١٩٥٤ وظل مستمرا في هذه الوظيفة حتى أحيل على التقاعد في سنة ١٩٦٣ .

عاش رحمه الله راضيا مطمئنا قنوعا ، فقد جمع من الصفات الكريمة الشيء الكثير وكانت شخصيته محببة الى جميع الذين أحاطوا به او اتصلوا به ، وكانت لروحه الادبية المرحة أثرها العميق لدى جلسائه واصدقائه .

اما أسلوبه الهادىء الرصين في الادب فيسير فيه عبر الاجواء التاريخية أعتبارا من بداية هذا القرن وما جرت فيه الاخبار والحوادث التي مرت على العراق وما فيها من متناقضات .

اما في الادب واللغة فهو عريف في صنعته متفتح لكل ما يجري حوله، وعلومه في هذا الميدان ذات باع طويل وادراك عميق واقدام راسخة تدل على ثبات صاحبها ومتانة علمه لذلك نجده قدانشد الشعر وهو فتى لم يتجاوز من العمر عشرين عاما[٩] ، وقد ذكر في الديوان انه انشد قصيدة في رثاء محمد فاضل الداغستاني في سنة ١٩١٥[١٠] .

وكان الى جانب اهتمامه بالادب مربيا فاضلا ومعلما كلف بالعلم وشغف بالتدريس ، وخدم المجتمع في هذا السبيل خدمة كبيرة وتفاعل معه تفاعلا عميقا ، ومنح طلابه ومريديه كل ما استطاع من علوم وفنون من اجل ان يخلق جيلا ممتازا من الشباب المثقف الواعي .

فالعراق آنذاك وبعد ان استقل عن السلطة العثمانية ، كان يرزح تحت ظلام الجهل والامية التي تفشت فيه .

ومن وسط هذا الظلام خرجت زمرة من أهل العلم والثقافة تحمل مشاعل النور والخير وكان القشطيني من الرواد الذين حملوا مشعل النور

والعلم الى الاجيال التي مزقت فيما بعد اسدال هـذا الظـلام وقضت مـن أطراف ذلك الجهل وأسبابه • ففضله في هـذا لاسبيل الى نكرانـه ، لأن العصر الذي عاش فيه الشاعر قد شهد ذيولا من الجهالة السوداء التي مرت على العراق ، والطبقة الواعية والمدركة فيه قلة قليلة ، وهل أحد منا كان يجهل ان الذين يعرفون القراءة والكتابة في ذلك الوقت كان عددهم قليلا وشحيحا ، وان السواد الاعظم من هذا الشعب كان يعيش في ظلام الامية والجهل المطبق ،وان طبقة المثقفين واهل العلم كانت تشبه اللآلىء التي تسطع في أجنة الليل البهيم •

ولعلنا نستطيع اذن ان نثمن ذلك الجهد الذي بذله القشطيني في مجال التربية والتعليم حين اشتغل بالتدريس فترات طويلة ، فلقد أعطى زهرة شبابه لهذا البلد والنهوض به ، حتى وصل الى ما وصل اليه بفضل تلك الجهود التي قدمها القشطيني وأمثاله من العاملين في حقل التربية والعلم والثقافة •

فلقد تلقى القشطيني علومه الاولية على يد خاله العلامة الجليل أمين الفتوي الشيخ عباس حلمي ، فقد كان هذا الشيخ من علماء عصره ورجاله الاتقياء والصلحاء وكانت لديه مدرسة لتدريس العلوم الدينية واللغوية ، وكانت والدة الشاعر قد طلبت الى الشيخ عباس أن يرعاه ويضمه الى هذه المدرسة وهو لما يزل شابا يافعا •

وعندمـا أسندت الى خاله مهمة التدريس في المدرسة الحميدية في سامراء التحق به القشطيني وبقى في صحبته سبع سنوات وقد ظل منتفعا بعلمه وأدبه كما تأثر به في سلوكه الى حد بعيد •

وكان صبيا اذ توفي أبوه فكفله عمه وعنى بتربيته ونشأته عناية كبيرة ووجهه الوجهة التي يرضاها له فكان يشجعه على التزود بكل اسباب المعرفة والثقافة وكان القشطيني كلفاً بعمه ، حريصا على ان يستمع الى نصائحـه

وارشاداته ولكن هذه الصلة الروحية قد انقطعت بينهما بعد وفاة عمه هذا • وكان سلوانه بعد هذا ان اخذ يغشى مجالس أصدقاء عمه ويستمع الى أحاديثهم الدينية والادبية والسياسية ويتأثر بهذا كله وكانت هذه المجالس منتشرة في مطلع هذا القرن اذ كانت هذه المجالس ذات اتجاهين أحدهما ديني والآخر سياسي وكانت ظروف الحرب العالمية تصورات أدبية يتعهدها الشعراء والادبا ءبجزيل الشعر وبليغ الكلام(١١) •

على أن الشيء البين في شعر القشطيني أن الاتجاه الديني كان ممتزجا مختلطاً مع الاتجاه السياسي وهو مانراه في اكثر شعره حيث أستغل المناسبات الدينية لاظهار الجانب السياسي وبيان ما كان يجري في العراق من احداث سياسية أثرت فيه الى حد كبير •

على انه من الواضح ان التربية الدينية التي تلقاها من بيئته منذ صغره، قد كان لها تأثيرها الواضح في نهجه الادبي الذي أستقام عنده فيما بعد وهو ما سنعرفه في شعره حيث ظهرت آثار تلك التربية واضحة جلية في كتاباته وشعره كما ظهرت في أتجاهاته السياسية ولا ادل على ذلك من تعلقه بالاسلام والاشادة برجاله والتغني بمآثرهم ، ونظرة بسيطة الى الوراء تجعلنا ندرك ان المدارس الرسمية في اوائل القرن الماضي كانت شبه معدومة ،فقد درس القشطيني على يد خاله وغيره من مشايخ عصره وكانت مدارس رجال الدين هي السائدة في مطلع هذا القرن حيث تدرس فيها علوم اللغة والادب أضافة الى العلوم الدينية المختلفة حيث ان المدارس الحديثة لم تنشأ في العراق الا بعد الانفصال عن الدولة العثمانية وعددها قليل جدا والمدارس الدينية آنذاك هي المدارس الوحيدة التي يذهب اليها الطلاب من اجل التزود بالعلوم الدينية وعلوم اللغة والادب •

يشكل القشطيني الحلقة الاخيرة من مدرسة الرصافي والزهاوي تلك المدرسة التى كان يطلق على شعرائها حينذاك بالشعراء العصريين

تميزا لهم من غيرهم ممن عاشوا في القرن التاسع عشروالذين كانوا يتعاطون الشعر على الطريقة التقليدية القديمة •

ومن خلال النظرة المعاصرة الى هذه المدرسة نجد انها لم تكـن في صالح اصحابها او اصحاب مؤيديها نظرا للتطور والتجديد اللذين اصابا الشعر العربي الحديث بفعل عوامل كثيرة واسباب مختلفة نحن نبتعد الآن في بحثها والكلام عنها لعدم الحاجة اليها في هذا الحديث •

والشيء المهم ان الرصافي والزهاوى كانا على كل حال مثالين لكثير من الشعراء الذين اتبعوهم بأدراك ورغبة بعد ان رسما بذلك الخطوط العامة لسمات هذه المدرسة وجعلا الشعر على العموم اقرب مايكون الى مقالات الصحف التي تقال في مناسبات عديدة وكان القراء من جهة اخرى كالشعراء فكرا وثقافة حيث كانوا يجدون في هذا الشعر صدى لنفوسهم لانه كان يعبر عن مشاكلهم الآنية وحاجاتهم الملحة فرفعوا هذين الشاعرين الى تلك المكانة العالية ، وحينما رأى جيل من الشعراء الناشئين المكانة الرفيعة التي يحتلها كل من الرصافي والزهاوي والهالة الوضاءة التي لهـم في نفـوس الناس ، وجدوا في أعماقهم دافعا يدفعهم الى محاكاة هذين الرجلين البارعين والذائعي الصيت ، اذا ارداوا ان يشتهروا حيث اشتهر الرصافي والزهاوى وبصـورة أوضح اقول ان هذا الجيل من الشعراء صار يدور في هذه الحلقة المفرغة من الشعر ، وصار الشاعر يفتن حتى في عناوين قصائده كما يفتن الصحفي في اختيار العنوان الملتهب لافتتاحيته وهكذا •

فالرصافي والزهاوى على هذا لم يموتا لانهما تركا من ينظر الى أدبهم على انه مثال يحتذى وعلى أنه طريقة تخلد صاحبها لتصل به بعد ذلك الى الشهرة والمجد ومن خلال هذا ندرك ما قاله الدكتور داود سلوم من ان (موت الرصافي ايذانا بموت المدرسة القديمة) [١٣] لأن بقايا جيل الرصافي

ما زالوا في طريقهم الى الانقراض ومنهم شاعرنا هذا الذى نتعرف الى أدبه ونترجم له .

وعلى كل حال فأن هناك اكثر من وجه للمقارنة بين صاحبنا وبين الرصافي فهما عاشا في فترة واحدة هي فترة الحكم العثماني كما عاصرا الاحداث الكبيرة في الحرب الاولى . وعاشا فترة طويلة اخرى هي فترة الحكم الاهلي الوطني ، فأذا المنية قد استأثرت بالرصافي في اعقاب الحرب الثانية فأن الزمن قد امتد بصاحبنا فترة اطول ... امتد الى ما بعد مأساة حزيران [١٤] .

ومن هنا فأنه تعرض لكثير من هذه الاحداث التي تعرض لها الرصافي من قبل كما سار على نفس منواله من حيث معالجة الموضوعات وحتى من حيث الالفاظ والمفردات ولا غرو في هذا فالشاعر يذكر اكثر من مرة العلاقات الحسنة التي كانت تربطه بالرصافي حتى اذا حصل بينهما ما يكدر هذه العلاقة لاختلاف الآراء في مسألة من المسائل تحول ما بينهما الى عتاب اخوى ، فقد ذكر الشاعر في ديوانه (وبعد ايام صادفني الرصافي واقسم انه لم يتأثر ولم يبك في حياته الا يوم وفاة والده ويوم انتهائه من قراءة قصيدتي) [١٥] وهذا الكلام يعتذر فيه الرصافي بعد ان حصلت جفوة بينهما بسبب رأى الرصافي في العروبة والاسلام وجنوحه الى تأييد فكرة الاتحاد والترقي ، ويبدو اعجاب القشطيني بالرصافي في اكثر من مناسبة من ذلك قصيدته هذه التى يرد بها عليه فيقول :

علمتك شاعرا تجلو القصيدا فتظهره لنا درا نضيدا
وتصبغه بلهجة يعربي يرى لبلاده رأيا سديدا [١٦]

اما اعجابه بالزهاوى فربما يفوق هذا الذى ذكرناه عن الرصافي فقد جاء في جريدة الجمهورية [١٧] يرد على سؤال لمحررها ننقله بالنص لاهميته في هذا المجال (على اى مدرسة شعرية تنتمي وما هي خصائص وميزات هذه

المدرسة الجواب:ـأنني مدين ومستفيدمن كل نابغةمن نوابغ الادب الخالدين واسمي منهم المتنبي وابا العلاء وشوقي والزهاوى .. واما الزهاوى فمزدوجاته ومثانيه جعلته وحيد زمانه [١٨] وانظر اليه مخاطبا الزهاوى في قصيدة عنوانها (يا جميل) حيث يقول :

سيدوم شعرك يا جميل يشدو به جيل فجيل
شعر لدى وصف الحقيـ ـقة ماله ابدا مثيل
شعر له الارواح تهتـ ـف والمواسم والفصول
وتمثلت فيه الحقا ئق . لا كما تهوى الميول

* * * *

عش يا امير الشعر والشعراء يحرسك الرعيل
والبس على رغم العدا تاجا تحس له الفحول
تاج ترصع بالبيان ن وزانه الخلق الجميل [١٩]

ولعل القصيدة التى قالها في ذكرى الزهاوي تشير الى المكانة التي يحتلها هذا الشاعر من نفسه فهو يدعوه بملك الشعراء ويشبه شعره بالآيات المعجزات ولا بأس من نقل بعض ابياتها :

صوغوا له التاجمن ورد وريحان ان لم تصوغوه من در وعقيان
وطرزوه بأى من قصائده فياضه بالمعاني ذات الوان
ثم اسكبوا فوقه الانوار مشرقة عن ابيض يقق او احمر قان
وليشهدوا ساعة التتويج طافحة بالبشر وليذكروها بعد أزمان
وليحفظوا من مثاني شعره قطعا ولينشدوها بأنغام والحان [٢٠]

وهذا جانب مهم من شعر القشطيني اذ يترأى لنا من خلال مطالعة ديوانه ومن خلال شذرات منبثة في هذا الديوان انه كان ينظر الى الشعر على انه لون من ألوان الالتزام الذي تمليه عليه ظروف وطنه فكان يرى ان عليه ظروف وطنه فكان يرى ان عليه واجبا يتعين أن يؤديه الى هذه

الامة التي تعيش ظروفا قاسية اضطرته أن يحياها وكلنا يعرف البلبلة السياسية التي كان يعيشها العراق ابان فترة الحكم الملكي • فهو حكم مزدوج ظاهره وطني وباطنه احتلال فعلي ومن هنا فأن المطلعين على مجريات الامور كانوا يعرفون جيدا حقيقة الاوضاع التي يعيشها البلد ومع هذا فهم لا يملكون الا أن يفيضوا والا أن يثوروا • ولهذا نجد الشاعر يذكر ذلك صراحة في مقدمة ديوانه فيقول (اما بعد فهذه قصائدي التي نظمتها في مختلف الاحوال والمناسبات وجمعتها الى أبناء هذا الجيل والى أحفادهم من بعدهم ويعلم الله اني ما جمعتها الا تنفيسا عن ألم مكبوت أو استجابة لمقصد نبيل فهي نواح وأنين ولهف وحنين على مجد ضاع وأمل دفين)[٢١] وهو بهذه المقدمة القصيرة يضع الخطوط العريضة لطريقته في الشعر أو لنظرته للشعر ولا حاجة للتعليق عليها فهي واضحة وضوح شعره •

قلنا ان القشطيني عاش فترة غير قصيرة أبان الحكم العثماني الذي كان ينظر الى العرب نظرة فيها الكثير من الازدراء • فهم يثورون أو يغضبون متى أحسوا ان هناك دعوة الى العربية لقد ذكر صاحب مختصر مطالع السعود (ان الدولة العثمانية ورجالها من عادتهم انهم لا يغضبون ولا تأخذهم الحمية الجنسية الا اذا علموا انه ستشكل دولة عربية فحينئذ يجتهدون في اخماد شرارتها من أول الامر لما يعلمونه من عاقبة أمرها[٢٢] •

ومن هنا كان الشعراء ينظرون الى التغير الذي يحصل داخل الدولة العثمانية على انه لصالحهم أو لصالح قضيتهم العادلة ، ومن هنا نجدهم يرحبون بتغير هذا الحكم ولم يدر بخلدهم أن يستبدلوا حكما اجنبيا بآخر ، وقد رأينا من خلال دراستنا لهذه الفترة ان الشعراء وقفوا موقفين ، فمنهم طغت عليهم مسحة التفاءل أبان الحرب الاولى باعتبار ان هذه الحرب

ستنقذهم من الوهدة التي هم فيها . قال الشاعر يصف رأي مواطنيه في هذه الحرب (كان الناس بين آسف وشامت وكل يدلي بحجته ودليله فالآسفون محافظون متشائمون لا يصدقون بمواعيد ولا يثقون بعهود والشامتون تقدميون متفائلون يتشبثون بخيوط الشمس ليصلوا الى الاستقلال وكنت أنا مع هؤلاء المتفائلين)[٢٣] .

وعلى كل حال فقد التزم الشاعر بصورة عامة بقضايا أمته ووطنه من خلال نظرته الى الامور وهو التزام له ما يسوغه من ناحية عامة نحس به من اطراد الحوادث وتواترها التي كان الشاعر المسجل الامين لكثير منها بالاضافة الى ما ذكره الشاعر صراحة في مقدمة القصيدة حينما ذكر البواعث التي جعلته يصدر اللهفات فقال « هذه هي البواعث والموجبات التي حملتني على تصعيد هذه اللهفات »[٢٤] . علما بأننا ذكرنا قبل قليل هذه الاسباب التي قصدها هنا .

ويفتن الشاعر في التعبير عن آرائه بعد أن اتخذ من الشعر وسيلة لخدمة هذه الآراء ومن الفنون التي كان يتخذها وسيلة لخدمة هذه الآراء مناسبات المولد النبوي أو المناسبات الدينية الاخرى[٢٥] . اذ كان يتخذ من خلالها وسيلة لبعث الهمم الراقدة فيذكر مستمعيه بذلك المجد الوضاء الذي عم ذكره في الارجاء حتى أصبح العرب سادة الدنيا . اما نحن ابناء هذا الجيل فأننا لم نحافظ على هذا المجد الذي ورثناه ، بل أضعنا كل ما خلفه لنا الاجداد كما أشار الى ذلك في قصيدة له عنوانها (أبو الزهراء) أنشدها في حفلة ذكرى الميلاد النبوي الذي أقيم في جامع الاعظمية ... ومنها :

ساروا وسار (ابو الزهراء) رائدهم ... الى الهداية والاصلاح والرشد
وانقذوا الناس لم ينكس لهم علم ... ولم يقوض لهم بيت على عمد
واصلحوا الارض بالايمان فأزدهرت ... وانتجت ثمرات العز والصيد

وقد سرى الداء في ارواح اكثرهم والداء في الروح غير الداء في الجسم
واصبحوا غرباء في مواطنهم وهاهم اليوم بين الذئب والاسد
لهفي عليهم ولهفي لاتخفف لي نارا تؤجج في صدرى على كبدى
يا روح طه امدينا بعاطفة فأننا ليس ينجينا سوى المدد
وانقذينا كما انقذت اولنا من المهالك في (بدر) وفي (أحد)
عطفا على المصحف القرآن فهو غدا يبكي من اليوم مرتاعاليوم غد[٢٦]

ولا شك في أن البيت الاخير مصدره حرص الشاعر على بلده ووطنه وما أصابه من كوارث متتابعة حتى أصبح الشاعر يميل الى التشائم من هذه الاوضاع الفاسدة • فالناس نيام لم يحسوا ان هناك عالما آخر غير هذا الذي يحيون فيه • ويبلغ به الالم حدا تراه يلتجىء الى الدعاء وهذا كل ما يملك لكي يمدهم (طه) في المدد وينقذهم مما هم فيه •

والشاعر في قصائده الدينية الاخرى يقف موقف الحذر من هذه الاوضاع الشاذة والمظاهر البراقة الكاذبة ويحث قومه على أخذ الثأر من الغاصب المحتل وعنده ان القوة هي الحد الفاصل بين الحق والباطل :

أمتي والحرب عتق • فاذا وقعت واقعة الحرب ثبي
وخذى الثأر ولا تنتظرى نجدة من مشرق او مغرب
نجدة الايمان تكفينا اذا نتلاقى ساعة المنقلب

* * *

ذكرونا بأبي بكر وما حازه من عاليات الرتب
ذكرونا (بأبي حفص) الذى عطرت ذكراه كل الحقب
و (بعثمان) الذى في ماله كان للاسلام اقوى سبب
و (علي) قامع الشرك ابي حسن مولى الكرام النجب
خلدونا الذكرى بذكرى (خالد) وارفعوها لمقام الشهب[٢٧]

وهكذا تأخذ التقريرية والخطابة بروح الشاعر فيأتي بالامثلة العملية

على تقدم الامم التي نفضت عنها الذل بعد أن كانت رازحة تحت وطـــأة دخيل متخذا من اليابان وتقدمها وسيلة يذكر بها العرب •

أسـألي اليابان ماذا صنعـــوا فنجوا من شـــبكات الاجنبي
واسـلكي ما سلكوا يا امتـــي ولهـم في المنجيـــات انتسبي
واطلبـي مـا طلبوا لاتقنطـي فلقـد آن اوان الطلـب (٢٨)

وهكذا كان يدفعه احساسه بعد ذلك الى تتبع الامجاد العربية فيجعل منها وسيلة بعث لهذه الامة الرائدة وأخذ يعدد مآثر العرب عن طـريق ما يذكره من أعمال قوادها الخالدين في التاريخ منـــذ العصر الاسلامي الاول الى أيام العرب في الاندلس :

وكان المفروض بشاعرنا وبعد أن أمتد به العمر أن يستفيـد مـن الحركات الفكرية التي عمت البلاد في وقت كثرت فيه الترجمة وشاعت فيه الآراء وتصارعت ، كما كان المفروض فيه أن تتجسد نظرته الى الشعر ليتخلص من هذه الخطابية المقيتة أو الحماسة الفارغة ويلتفت الى نفسـه والى فنه الا أن شيئا من هذا لم يحصل وبقي الشاعر يدور في نفس النغمة التي عرفناه بها منذ أول قصيدة قالها الى آخر قصيدة ختم بها حياته ، فهو ما أنفك يجري وراء الحوادث المتلاحقة تدفعه الى حيث تريد ، ومن هنا لا تحس في شعره رابطة تجمع اجزاءه بل اننا لا نجد في كثير من الاحيان ترابطا عضويا بين هذا البيت والبيت الذي يليه • وهذه سمه عامة نجدها في أكثر شعره ولاريب ان هذه الظاهرة من شعره مبعثهـا النظـــر الى الحوادث من خلال مدى الرؤيا • وحينما يكون زاد الانسان الفكـــري واحداً ومتماثلا فأن هذه الظواهر تفرض نفسها على الشاعر فيعود ينظـر الى الشعر من خلال معانيه التي تكون في كثير من الاحيان بعيـــدة عن الخلق والابداع • وكان الاجدر به أن يكون لنفسه وجهة نظر خاصـة به مبعثها النظر الى سبر أغوار النفس البشرية ينتزع منها ذلك الوجدان

الحي وليدل بالتالي على أن هناك عملية خلق وابداع تسق فيها الالفاظ مع المعاني •

صحيح ان الشاعر ملتزم وبصورة أدق فأن الشعر السياسي وشعر المناسبات يكاد يكون القسم الاكبر من ديوان شاعرنا ، وهو في هذا المجال يبدو انفعاله واضحا وكان ايمانه بالعروبة ومبادئها ايمانا عاطفيا مثالياً وهو الايمان الذي كان سائدا آنذاك ولكن هذا لا يقلل من شأنه ، ذلك ان جيل الرجل نشأ ينظر للعروبة من خلال العواطف الحارة التي تمليها ظروف بلده • وهي تسق على ما نرى مع الاوضاع العامة التي كان يعيشها في حينه • اذ ليس من المعقول أن يقوم المرء بنفسه بوضع فلسفات معينة وبلاده تئن تحت وطأة دخيل • ومن هنا جاءت نظرة الشاعر ـ وهي نظرة أكثر معاصريه ـ من حيث الدعوة الى التفاخر بالامجاد القديمة ليكون هذا التفاخر وسيلة أو حافزا على بعث أو حث الى تغيير وضع غير طبيعي وبصورة أوضح فليس من المعقول أن ينشغل هو واصحابه بوضع نظريات فلسفية والاستعمار يحتل بلادهم •

وما دام الرجل يلح على هذه الناحية في شعره فلا بأس من دراسة هذه الناحية زمنيا ، ومن الاجدر أن نتعرف الى صدى هذه الحوادث في شعره ، ولعل أول ملاحظة نراها في شعره ونحن نقرأ الديوان ، ان الشاعر لم يذهب كما ذهب اليه بعض الشعراء الذين كانوا يعارضون الدولة العثمانية • ويخيل اليّ ان التربية الدينية التي تلقاها في طفولته هي التي وجهته وصبغت حياته بهذه الصبغة • فهو ينظر الى العثمانيين من الناحية الدينية ويرى ان دولة بني عثمان حامية حمى الاسلام وان الخروج عليها انما هو خروج على الاسلام وهذا واضح في بعض قصائده التي قالها قبل نهاية الحرب الاولى • للنظر اليه وهو يرثي قائدا تركيا :

عين المكارم بالمدافع جودى فلقد فقدت سنا ابي داود

غرس المحامد للعراق فأثمرت حبا كطيب ذكره المحمود
وبمن نصول على العدا ونروعهم وبمن نرد شرور كل حقود
ياراحلا لجنان خلد عالما ان الدنى ليست بدار خلود
ايتمت جند المسلمين فمن لهم من بعد وارف ظلك المعدود
فعليك (يابغداد) ان تتأسفي وعليك ان تتألمي وتميدى
هيهات لاتجدين شهما مثله انى ؟ وهذا صفوة الموجود
نلت الشهادة في الدفاع عن الحمى ياشيخ كل مجاهد وشهيد(٢٩)

ويذكرنا شعره هذا بما قرأناه لأحمد شوقي في هذا المجال فقد كان ينظر نفس النظرة الى الدولة العثمانية ، ولعل القارىء بعد ذلك لاحظ العواطف الملتهبة والاسى الكامن في ذلك الشاعر وهو يرثي زعيما عسكريا يجد فيه مثال الرجولة ، ليس هذا فحسب بل أن الشاعر راح يصور لنا ما سوف يحل بالمسلمين بعد موت هذا القائد الشجاع ولا نجد لهذه العواطف الملتهبة صدى في أكثر شعره لأنها على ما يبدو خارجة من احساس عميق بالحب لهذا الرجل .

ويستمر هذا الشعور عند القشطيني خلال الحرب العالمية الاولى وهو يحمل خلالها حبا صادقا ويرى انهم انما يحاربون الكفار والانكليز في حين أيد العرب الانكليز في تلك الفترة بعد أن وعدوهم بالتحرير فمن رأيه ان بريطانيا الدولة العريقة في الاستعمار تريد خداع العرب وانها اذا أرادت أن تمنح العراق استقلاله فهي مظاهر تحاول باخداع هذا الشعب(٣٠) . ولننظر اليه يقول في قصيدة عنوانها (واقعة الكوت) نشرها في جريدة الزهور بمناسبة انتصار المسلمين على الانكليز بعد حصار الكوت المعروف :

الا في سبيل الله هل من مجاهد يجاهد عن اوطانه والعقائد
وهل من فتى شاكي السلاح يذود عن (شريعة طه) كل علج معاند

ويحمي حمى الاسلام من كل معتد ... ويدرأ عنه عاديات الاباعد
فهذا عدو المسلمين تدفقت ... اساطيله مشحونة بالمكايد
تصب عليهم نارها وعذابها ... وان لجأوا للدوراو للمساجد[٣١]

فهو يرى ان الاتراك انما يدافعون عن شريعة طه • وعن حمى الاسلام ولهذا انتصروا ، فامتلأ قلب الشاعر فخرا واعجابا بعد انتصار الاتراك على اعدائهم وأكثر من هذا نجد ان الشاعر كان صادقا مع نفسه ومع مبادئه فحين احتل الانكليز مدينة بغداد سنة ١٩١٧ نجد الشاعر يترك بلده ويذهب الى مدينة عانة خوفا من بطش جيش الاحتلال الانكليزي اذ ينسحب مع بعض مؤيدي العثمانيين ومع الجيش التركي الذي تراجع الى أعالي الفرات وللشاعر قصيدة في هذا المجال[٣٢] •

ويستمر الشاعر على هذه العاطفة الدينية بعد رجوعه الى بغداد ، والظاهر ايضا ان حبه للعروبة انما جاء من خلال حبه للاسلام[٣٣] ، ذلك ان الروح الدينية ما تزال مسيطرة عليه توجهه الوجهة التي تريدها ، وعنده ان الحكام الجدد ما زالوا في نظره من اعداء المسلمين ولهذا تراه يتحين الفرص لكي يظهر عواطفه نحو هؤلاء المحتلين وقد تهيأت له هذه الفرصة ابان ثورة العشرين ، فقد كان كعادته يتخذ الموالد النبوية الشريفة وسيلة لبث أفكاره بين الناس والهاب عواطفهم نحو هذا المحتل الدخيل كقوله :

حتام • دمعك ينسفح ؟ ... والام سرك ينفضح ؟
وطني وحقك لو ابا ... ح دمي فأني لم ابح
لم الق غيرك في الورى ... ذا محنة : الا منح
ان الذين نصرتهم ... لما جوادهما كبح
هضموا حقوقك مذ رأو ... ك بها لطالبها سمح !
وتقاسموك وزعمهم ... في ذاك انك تنصلح

اين الحليف ؟ وايـن مـن ؟ يصغي اليـك فتقتـرح ؟
يا ايهـا العـربي : قـم واقـدح زنادك ينقدح[٣٤]

والقارىء لاشك لاحظ كيف تعرض الشاعر للانكليز ولوعودهم الكاذبة يوم أن أدخلوا العرب في صفهم ليكونوا معهم على الاتراك حتى اذا تم لهم النصر تنصلوا من هذه العهود ولهذا نرى الشاعر في بعض أبياته يشير الى ذلك ليتحول الى ثائر بوجه هؤلاء الطغاة ، ويرى ان القوة هي الفيصل بين الحرية والعبودية .

وتبدو آراؤه القومية أكثـر وضوحا في مناسبات شتى تستدعي في كثير من الاحيان العواطف الجياشة والحماس الملتهب . فيتحول الشاعر الى منبه وموقظ لأمته من هذا الركود والخمول الذي طـال ويذكرهـم بذلك المجد العظيم حينما كانوا سادة في ديارهم ويوم ان اخضعوا أكبـر الدول في التاريخ وهي دولة الفرس ودولة الروم حتى زحف العرب الى افريقيا يحملون مشعل الحضارة ، والى اوربـا حينما كانت في ظـلام دامس ، ولا ينسى الشاعر أن يذكر فضل العرب على الغرب ويتخـذ من اسبانيا دليلا على ذلك . حتى يصل بعد ذلك الى أن يتساءل وهو تساءل مقبول : لماذا هدت هذه الامة ولماذا انحلت دولتهم حتى اذا انتهى من هذا كله وصل الى هدفه وهو ان دولتنا الجديدة بحكم فيصل ستعيد لنا هذا المجد العظيم لتكون امة قوية مرهوبة كما كنا في تاريخنا المجيد ، هـذا كله نراه في قصيدته التي عنوانها (الى ابناء الامة العربية) حيث يقـول فيهـا :

حيـاة الشعوب بسلطانهـا وعـز البـلاد بسـكانها
فلا حبذا العيش ان لم تكـن لآسـية مثل (يابانهـا)
ففي السلم كنـا كأنوارهـا وفي الحرب كنا كنيرانهـا
فسل دولة الفرس عن عزنـا وكيف احتفظنـا بأيوانهـا

وسل ما بنينا بأفريقيا من بني اوروبا ورومانها
فمنها تعلم في قرطبة سى قسوس الفرنج واسبانها
الا خبروني بني امتي لماذا اصبنا بفقدانها ؟
فأين الصناديد من يعرب فهل نست عهد قحطانها
وان رمت برهان ما تدعي (ففيصل) اعظم برهانها
حفيد النبي ويا بشرنا بروح الحياة وريحانها (٣٥)

وعلى كل حال فأن شاعرنا يستمر على هذا النسق ولايتحول الى سواه رغم التطورات العديدة التي حصلت في العراق ، ولو اننا تعرفنا الى بعض قصائده الاخيرة لما وجدنا فرقا بينها وبين تلك التي عرفنا بعض نماذجها قبل قليل .

اما موقفه من العهد البائد فيبدو انه لم يكن على وتيرة واحدة في نظرته الى الامور الا انه بصورة عامة كان ينتقد الاوضاع الشاذة في العهد الملكي وقد كان يتأثر بما يلاقي الشعب من كوارث على ايدى هذه الطغمة . ولهذا نجد له شعرا يعلق به على بعض الحوادث المهمة التي تقع حينذاك ومنها مهزلة الانتخابات التي كانت مصدر اثارة للشعب بالعهد الملكي ، انظر اليه يقول في قصيدة عنوانها (للتفكهة) ينتقد فيها الانتخابات :

لو قال مليون مرة الانتخابات حرة
فلا تصدق ولازم ديوانه يا (بن دره) (٣٦)

* * *

كن نائباً كتلويا يهوى الطلى والمسرة
وارقص وماجن ومثل وهز ردفا وسره
وانسى الرصافي وفهمي وفيلسوف المعرة
وصير الناس طرا تقول : لله دره (٣٧)

وتأخذ الاحداث الغريبة التي حدثت في العهد الجمهوري جانبا كبيرا

من شعره ويعلق على هذه الحوادث تعليقا متصلا بأسلوبه الذى عهدناه ، فلا حاجة لان نعرج عليه ومن اراد الاطلاع فعليه بديوان الشاعر •

ذلك هو الجانب المهم من شعر القشطيني ويكاد يكون اكثر من ثلثي الديوان في حين ينحصر القسم الاخير في أغراض اخرى كان المفروض ان تكون اكثر ملائمة لروح العصر ولكننا لم نعثر على شيء كثير في هذا المجال واكثر ما يدور فيه هذا الشعر هو الرثاء ، والشيء القليل منه في الوصف •

ولهذا نقول ان روحيته واحدة سواء في ايام شبابه او أيام كهولته وان تأثره بالحوادث يدل على مسلكه العاطفي وهو المسلك الذى أتبعه في شعره وهذا ما نلاحظه في رثائه لاقرب المقربين اليه وهو ابوه او عمه ، ففي رثائه لهما لانحس بوقع الفجيعة ، وحتى لو كان الشاعر مشدوها وقت الوفاة فأن الايام كفيلة بأن تجعله يحس بالفراغ الذى تركه اعز الناس اليه • قال في رثاء ابيه :

لم ادر مصرع والدى ام مصرعي ... هو لا يعي وانا • كذلك لا اعى
وصحوت اسأل من رأيت فلم اجد ... احداً يجيب سوى غزير الادمع
رباه ايـن ابي ايبقى هاجعـا ... وجميع من في بيتنا لم يهجع (٣٨)

والظاهر ان قريحة الشاعر صارت تتأثر بالحوادث العامة اكثر من تأثرها بالحوادث الوجدانية الذاتية فصار يعبر آنيا عن هذه الاحداث التي تجد لها صدى في نفسه • وقل مثل هذا في شعر شعراء المدرسة التي ينتمي اليها الشاعر ، حيث طغت الصناعة الشعرية في شعرهـم على الناحيـة العاطفية •

ولكن مع هذا كله فأننا لانعدم ان نجد قصائد لها مكانتها في ديوانـه نحس معها بوجود شعور ملتهب ومنها تلك القصيدة المجيدة التي قالها يوم نفي السويدي (٣٩) الى بيروت ، فقد كانت تربط هذا الاخير بالشاعر اكثر من وشيجة فأمتزج التأثير السياسي مع الناحية الوجدانيـة فكانت هـذه

القصيدة التي تنم عن انفعال حي في ذات المغفور له وهو فيها لايتداعى امام الحوادث بل يطفح بروح كلها تفاؤل ليشجع السويدى وغيره ممن نالتهم يد الغدر فأبعدتهم عن بلادهم لا لشيء جنوه الا حبهم لوطنهم وامتهم • والا مطالبتهم بحقوق بلادهم وامتهم او وقوفهم اما الغاصب • فالشاعر في هذه القصيدة يعطي صاحبه وبالتالي شعبه جرعة من الصمود امام اعدائه واعدائهم متخذا من أعماله الطيبة التي عملها خدمة لبلاده وامته وسيلة الى ذلك حتى اذا انتهى الشاعر من هذا كله راح يستصرخ ويحرض اهل بغداد ويصب غضبه عليهم لانهم وقفوا موقف المتفرج امام هذه الاحداث الخطيرة والا فكيف يمكن لها ن تبقى صامدة امام هذه الاحداث الخطيرة ومنها نفي السويدي •

ومن هنا نرى الشاعر يستعمل العاطفة والحماس في اثارة الناس ويذكرهم ان هذه الاحداث كافية لان تذيب قلب الصخر ان كان للصخر قلب• وهكذا تضطره ظروف النغمة العامة التي اعتادعليها في شعره لأن يتحول الى عابس في وجه الحياة لايراها الا كالحة السواد • ولهذا يكون الشاعر قد تحول في هذه القصيدة عن موقفه المتفائل ذاك الى موقف يناقضه على ما يبدو كل التناقض ولكنه تناقض لايمكن ان يكون تناقض منطق وانما هو تناقض شعر وعواطف املته المواقف التي يحياها الشاعر ونظرته الى الامور فهو من ناحية يعد النفي للاحرار على انه مجد وفخر وهذه نظرة طافحة بالامل ولكنه حينما ينظر الى شعبه لايراه وقد ارتفع الى مستوى الاحداث وانما مايزال يغط في سبات وكأنه يتفرج وهذه امور تضطر الشاعر لأن يتحول الى ثائر وبالتالي الى متشائم من هذه الحياة :

لا تبتئس يوم السفر سيعود ان غاب القمر
ودع التألم انه لم يجد ان وقع القدر
واصبر ولا تجزع فما جزع يدوم لمن صبر

فلنظفـــرن بســـعينا والســـعي مفتـــاح الظفر

* * *

مـــاذا يضـــر البحـــر أن شـــرب اللئيـــم من البحـــر
والشمســـس ليـــس يضيرها رمـــي المغفـــل بالحجـــر

* * *

يا يوســـف الصديق كم لك مـــن ايـــاد تذكـــر
هي فـــوق ناصية العـــلى غـــرر تلـــوح على غـــرر
بغـــداد بعـــدك اظلمـــت ونهـــار بهجتها اكفهـــر
اذ أنـــت بـــدر سمائها وجلالهـــا بك قـــد ظهـــر
أسست فيهـــا من جهـــا دك للعروبـــة مؤتمـــر
واردت ان تحيـــي وتبعث مـــن مراقدهـــا مضـــر

* * *

بغـــداد يا شـــر البـــلا د • ويـــا محطمـــة كل شـــر
ما فيـــك يا رحب البـــلى للحـــر ادنـــى مســـتقر
هـــل مثـــل يوسف ينتفى والنفـــي خص لمـــن كفـــر ؟

* * *

رحمـــا ك يا رباه مـــن زمـــن به الحـــق اندحـــر
حاشـــا لاوطـــاني تضـــام وتســـتغيث من التـــتـــر
في كـــل قطـــر نكبـــة وجريمـــة لاتغتفـــر (٤٠)

وأخيرا فأن تقويمنا لشاعرية القشطيني لاتخرج عن ان الشاعر قد أدى الدور المفروض عليه كشاعر قضى اكثر حياته وسط زحمه من الحوادث المهمة التي تستدعي الناس ان يقولوا رأيهم فيها وعبر عنها بطريقته الخاصة تلك الطريقة التي عهدناها عند زميليه الرصافي والزهاوى ، فظل الشاعر يدور في زحمة هذه الحوادث ولا يكاد ينفك عنها وهي كما ذكرنا حوادث لايمكن التقليل من أثرها البتة ، نظرا لخطورتها وتأثيرها الشامل في مستقبل

بلده ووطنه ، كما انه من ناحية اخرى قد ادى دوره على احسن صورة وانبل مقصد نحو أمته العربية وفي احلك الظروف قسوة وشراسة تدلنا على ذلك هذه القصائد والمقطعات الكثيرة التى قالها بعد ثورة تموز سنة ١٩٥٨ • وما رافقها من امور غريبة لايستطيع المرء ان يقف امامها موقف المتفرج •

وقبل ان اختتم هذه الصفحات عن أديبنا القشطيني ارجو ان أكون قد اعطيت صورة دقيقة عن هذا الشاعر وعن ادبه ، رحمه الله وجعله من أهل الايمان والخالدين •

وهذه بعض القصائد والابيات نظمها القشطيني بعد طبع ديوانه اللهفات وقد سجل تاريخ اصدار هذه المقطوعات في حينه وقد علق على كل واحدة بخط يده وهي تظهر لنا الاسباب التي حدت به الى نظم هذه الابيات وقد آثرت نشرها بالصورة التي هي عليها مع ماورد فيها من تعليق •

على كتاب : الاسلام وعلل المجتمع الثلاث ، الجهل ، والمرض ، والفقر من تأليف العلامة الشيخ الجليل شاكر البدرى حياه الله وبياه :

منذ (حزيران) وويلاته ... لم يأتني الشعر ولم آته
لكن سفرا ضوء مشكاته ... اشرق من حسن عباراته
فقلت من بعد قراءته ... وفهم معناه وغاياته
(أقسم بالله وآياته ... ومشعر الحج وميقاته
ان ابا (بدر) حرى بأن ... تكتب بالتبر مقالاته

١٩/ربيع الثاني / ١٣٨٩
١٩٦٩/٧/٤

وهذا ما كتبته على غلاف ديواني الذى أهديته بيد ولدى سعدون حينما سافر الى تونس •

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية اجلال واكبار لدار الكتب التونسية العامرة وللشعب العربي

الشقيق العظيم موطن صديقي الخالد الشيخ عبدالعزيز الثعالبي طيب الله ذكراه وثراه :

بتونس أن مررت فقف وسلم ... على جدث البطولة والزعامة
على عبدالعزيز ابي حميد ... امام العبقرية والشهامة
وقل ان العراق به قلوب ... تصون لك المحبة والكرامة

بغداد في / جمادى الاولى / ١٣٨٩
١٩٦٩/٧/٢١

السيد انور السامرائي

بعد التحية والدعاء

اعيد لك (اجراس النصر) شاكرا حسن ظنك بي ، اذ تطلب مني ان أقدمها للقراء وللاسباب التالية اعتذر . واكتفي بهذه الابيات المرتجلة مكررا التحية والدعاء ....

منذ حزيران وويلاته ... لم يأتني الشعر ولم آته
ولم اعاين قط ابياته ... ولم اقل هاك ، ولا هاته
وصرت انأى في مجالاته ... وادعو قومي : لمجافاته
فلا تذكرني بمأساته ... ولا تعرفني بحالاته
فأنه فارق ليلاته ... وعافه شكواه وآهاته
وهذه من بعض عاداته ... ولنرجيء الشرح لميقاته
(فالجرس) الزاهي بلمعانه ... لا ينقذ (القدس) بدقاته
والناس لا تسمع صيحاته ... ولا ترى هذه صولاته
فخل (للنصر) كراماته ... فالشعر لا يبعث أمواته
وانت ان حاولت مرضاته ... هيهات لا تلقى مسراته

١١/ربيع الاول / ١٣٩٠
١٩٧٠//١٥

وكتب : عاطفـــة

قرأت في الصحف مصرع الشهيد (طارق .....)

وحدقت في صورته الغضة الفتية ففاضت عيناى بالدمـوع ومـــرت بخاطرى بيتا الشاعر :

وقالوا اتبكي كل قبر رأيتـــه لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت: اجلان الأسى يبعث الاسى دعوني فهذا كلـــه قبر مالـك

ثم تناولت القلم وكتبت مرتجلا :

ياطارقا طرق الاكباد مصرعـه فداك كل خسيس الطبع والنسب

لامتع الله قومي بالحيـــاة اذا تناسوا الثأر او ناموا عن الطلب

وهذه ابيات نظمها في صيف عام ١٩٧١ • عندما كان يطالع ما يكتبـه الكاتب اللبناني الاستاذ جورج جرداق في مجلة الصياد اللبنانية من صور قلمية وأحاسيس ادبية فكتب هذه الابيات على قصاصة من الورق :

يا(جورج جرداق) قدخففت آلامي بما تعبر من وحـي والهـــام

لله درك مـــن فذ يذكرنـي في كل يوم بقصاص ورسـام

فلا شكسبير ضاها ما تجود به ولا رفائيل حاكا رسمك الدامي

وكتب يقول :

في صباح ٢٩-٤-١٩٧١ طرق بأبنا فذهب ولدنا سعدون وتناول مـن الطارق ظرفا معنونا لي ففتضته فوجدت فيه مايأتي :

استاذي الفاضل السيد ناجى القشطيني حفظه الله وابقاه

تحية وودا

ارجو لك الخير والعافية • امر احيانا صباحا من المفتشية العامة متجها صوب الشارع المطل على نهر دجلة في الاعظمية الى موقع الجسر القديـم لاعود الى المفتشية العامة وفي طريقي يبرز اسمك على جانب من واجهـــة دارك العامرة فأتذكر استاذا غرس الفضيلة في عقولنا وحبب الينا لغتنا ،

وكنا نترنم اشعاره الوطنية ، فجالت في خاطري هذه الابيات :

أمر على عرينك كـل صبـح وبأسمك يا مربينـا أناجي
اراقب كـل بارقـة لعلـي ارى استاذى المحبوب ناجـي
لقد علمتنا الاخـلاق دومـا فسرنا في الحياة بلا أعوجاج
اذا طال انتظارك دون جـدوى وصبرك عيل في سوح الرتـاج
فلا تجزع فبعد العسر يسـر وان الضيق ينبي بأنفـراج
وان اليـك في خلـدى شعاعا دليلي ان تداهمني الدياجـي
ولكني الى لقيـاك اصبـو وبأسمك يا مربينـا أناجـي

تلميذك / عبدالحميد عبدالكريم ـ مفتش المكتبات

فكتبت اليه هذه الكلمة :

لجناب الاستاذ عبدالحميد عبدالكريم المحترم

بعد التحية الطيبة المباركة

لقد تناولت رسالتك الكريمة وتلوتها بأهتمام واعجاب وسررت من ابياتك الرقيقة ودعوت لك وتذكرت شخصك الحبيب حينما كنـت في ثانوية الكرخ على ما أتذكر واني كنت قد هممت على هجر الشعر منـذ نكبة حزيران ١٩٦٧ واثبت ذلك في ديواني ـ اللهفات ـ المطبوع ١٩٦٨ وعرف ذلك من قرأ الديوان .

ولا ادرى كيف واتتني القريحة فنظمت هذه الابيات ولك ان تشرفني في اى يوم تشاء ليتم سرورى برأياك راجيا اشعارى تلفونيا قبيل ذلك ولك الشكر .

المحب ناجي القشطيني

أطفأت في الليل البهيم سراجـي وظللت أندب أخوتي واناجي
لم يبق لي منهم سوى امشاجهم ومن البلية دعـوة الامشاج
وعزمت ان لا أستجيب لطارق الا على وعد : بـلا أحـراج

عبدالحميد وانت نسل أكارم صعود الى العليا على معراج
راقبت بيتي كي تراني لحظة لتزول عنك شوائب الازعاج
وصبرت حتى عيل صبرك وانتهى فبعثت لي (درا) على ديباج
فشكرت عطفك يا وفي وهكذا شأن النجيب الطاهر الانتاج

١٩٧١/٥/١

وكتبت هذه الآيات :

بمناسبة خطاب الرئيس محمد انور السادات ليلة ١٩٧٢/١/١٤ ٠

يا عصبة الطغيان لا نرضى الا اذا نطرحكم ارضا
ونأخذ الثارات منكم ولا نترك في اجسامكم نبضا
فلا تلومونا ولا تجزعوا انتم فرضتم حربنا فرضا

الهوامش

(١) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٩ ٠
(٢) محمد فهمي درويش : الدليل العراقي ص ٩٥٨ ٠
(٣) المصدر السابق : ص ٩٥٨ ٠
(٤) ابراهيم الدروبي : البغداديون اخبارهم ومجالسهم ص ٥٨ ٠
(٥) المصدر السابق : ص ٥٤ ٠
(٦) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ص ١٨٨ ٠
(٧) المصدر السابق : ص ٦٧ ٠
(٨) عبدالرزاق الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث ص ١٧٤ جـ٣
(٩) الدكتور يوسف عزالدين : شعراء العراق في القرن العشرين ص ١٤٥
(١٠) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٣٠ ٠
(١١) الدكتور احمد مطلوب : النقد الادبي الحديث في العراق ص ٢٢ ٠
(١٢) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ١١ ٠
(١٣) الدكتور داود سلوم : الادب المعاصر في العراق ص ٥ ٠
(١٤) توفي رحمه الله في يوم الجمعة المصادف ١٥ـ١٢ـ١٩٧٢ ٠
(١٥) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٥٢ ٠
(١٦) محمد ناجي القشطيني اللهفات ص ٥٢ ٠
(١٧) جريدة الجمهورية : العدد ٨٩٤ ٧ تموز ١٩٦٦ ٠

(١٨) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٢٧٦ ٠
(١٩) المصدر السابق : ص ٧٣ـ٤٧ ٠
(٢٠) المصدر السابق : ص ١٣١ ٠
(٢١) المصدر السابق : ص ٨ ٠
(٢٢) عثمان بن سند : مختصر مطالع السعود ص ٤٢ ٠
(٢٣) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٨ ٠
(٢٤) المصدر السابق : ص ٩ ٠
(٢٥) الدكتور يوسف عزالدين : الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ص ١٤١ ٠
(٢٦) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ١٨ ٠
(٢٧) المصدر السابق : اللهفات ص ١٥ ٠
(٢٨) المصدر السابق : ص ١٤ ٠
(٢٩) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٣٠ـ٣٢ ٠
(٣٠) الدكتور رؤف الواعظ : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ص ١٩٦ ٠
(٣١) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٣٣ ٠
(٣٢) محمد ناجي القشطيني : اللهفات ص ٤١ ٠
(٣٣) الدكتور يوسف عزالدين : خير الهنداوى حياته وديوان شعره ص ١٧ـ١٩ ٠
(٣٤) محمد ناجي القشطينى : اللهفات ص ٤٩ ـ ٥٠ ٠
(٣٥) محمد ناجى القشطينى : اللهفات ص ٥٩ ٠
(٣٦) (بن دره) المقصود هنا خالد الدره وهو صحفى مشهور صاحب مجلة الوادى ٠
(٣٧) المصدر السابق : ص ١٥٧ـ١٥٨ ٠
(٣٨) محمد ناجى القشطيني : اللهفات ص ٢٨ ٠
(٣٩) هو السيد الشيخ يوسف السويدى من علماء بغداد وقد نفاه الوالى الى بيروت سنة ١٩١٦ ٠
(٤٠) محمد ناجى القشطينى : اللهفات ص ٣٩ـ٤٠ ٠
(٤٠) محمد ناجى القشطينى : اللهفات ص ٣٩ـ٤٠ ٠

المصادر والمراجـــع

١ ـ اللهفات ـ ديوان شعر ونثر ، محمد ناجي القشطيني ـ بغداد ١٩٦٨ ٠

٢ ـ البغداديون اخبارهم ومجالسهم ـ ابراهيم الدوري ، بغداد ١٩٥٨ ٠

٣ ـ الدليل العراقي ـ محمد فهمي درويش ١٩٣٦ ٠

٤ ـ تاريخ العراق السياسي الحديث ـ ج ٣ عبدالرزاق الحسني ٠

٥ ـ مختصر مطالع السعود ـ عثمان بن سند ٠

٦ ـ الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه الدكتور يوسف عزالدين ـ القاهرة ١٩٦٥ ٠

٧ ـ شعراء العراق في القرن العشرين ـ الدكتور يوسف عزالدين بغداد ١٩٦٩ ٠

٨ ـ فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث ـ الدكتور يوسف عزالدين القاهرة ١٩٧٠ ٠

٩ ـ الادب المعاصر في العراق ـ الدكتور داود سلوم ـ بغداد ١٩٦٢ ٠

١٠ـ خيرى الهنداوى حياته وديوان شعره ـ الدكتور يوسف عز الدين بغداد ١٩٧٤ ٠

١١ـ الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ـ الدكتور رؤوف الواعظ بغداد ١٩٧٤ ٠

١٢ـ النقد الادبي الحديث في العراق ـ الدكتور احمد مطلوب ـ القاهرة ١٩٦٨ ٠

١٣ـ جريدة الجمهورية ـ العدد ٨٩٤ ، ٧ تموز ١٩٦٦ ٠